مجموع الخطب المنبرية

بَابُ التوبَة

تأليف فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

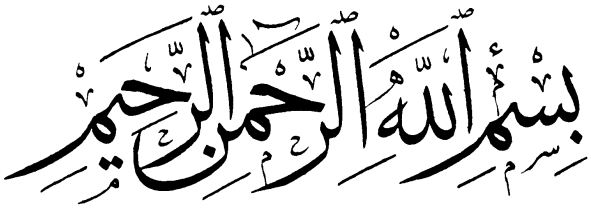
بسم الله الرحمن الرحيم

الْمُقَدِّمَةُ:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ

فَإِنَّهُ لَنْ يَنْفَعَكَ أَنْ يُقَالَ عَنْكَ إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ حَدِيدًا لَكُنْتَ قَيْدًا، وَلَوْ كُنْتَ صَخْرًا لَكُنْتَ صَلْدًا.

وَإِنَّمَا يَنْفَعُكَ أَنْ تَكُونَ تَقِيًّا نَقِيًّا رَحِيمًا خَفِيًّا، تَأْلَفُ وَتُؤْلَفُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْحَسَنِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»(١).

فَلَنْ يَنْفَعَكَ أَنْ يُقَالَ فِيكَ: لَوْ كُنْتَ حَدِيدًا لَكُنْتَ قَيْدًا، وَلَوْ كُنْتَ صَخْرًا لَكُنْتَ صَلْدًا.

بَلْ كُنْ تَقِيًّا نَقِيًّا رَحِيمًا خَفِيًّا، يَنْتَفِعُ بِكَ النَّاسُ؛ فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٦/ ٥٨)، والْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشِّهَابِ» (١٢٩، ١٢٣٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (١٠/ ١١٥)، وَأَبُو سَعِيدٍ النَّقَّاشُ فِي «فَوَائِدِ الْعِرَاقِيِّينَ» (٩٩) (مَكْتَبَةُ الْقُرْآنِ – مِصْر)، مِنْ طَرِيقِ: عَلِيّ بْن بَهْرَامَ قَالَ: نا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:... الْحَدِيثَ.
وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٤٢٦).

لِلنَّاسِ، كَمَا قَالَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَهَاهُنَا مِنَ الْأَمْثِلَةِ مَا ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنَ الشَّوَاهِدِ اللَّائِحَاتِ وَالْأَعْلَامِ السَّانِحَاتِ مَا يَهْتَدِي بِهِ السَّادِرُونَ فِي الْغَيِّ، الضَّارِبُونَ فِي التِّيهِ، الَّذِينَ يَتَلَمَّسُونَ السَّبِيلَ فَلَا يَجِدُونَ إِلَيْهِ مَنْفَذًا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[1] بِسَنَدِهِ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٤٢)، مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَىٰ، عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَىٰ عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**» فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَىٰ عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**» فَأَتَىٰ أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، =

عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَفَقَّدُ أَمْدَادَ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَهُمْ أُولَئِكَ الطَّلَائِعُ الَّذِينَ يَأْتُونَ مَدَدًا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَيَمُرُّونَ بِمَدِينَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِهِمْ مِنَ الْيَمَنِ جَنُوبًا، مُصْعِدِينَ إِلَىٰ الشَّمَالِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

«يَأْتِيكُمْ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، فِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَيَاضٌ -أَوْ قَالَ: **بَرَصٌ-، فَدَعَا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَبَرِئَ وَبَرَأَ** -لُغَتَانِ- **مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ أُمٌّ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنْ لَقِيتُمُوهُ فَمُرُوهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكُمْ»**.

هَذَا يَقُولُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ يُخْبِرُ عَنْ رَجُلٍ مَا هُوَ بِصَحَابِيٍّ، وَإِنَّمَا هُوَ خَيْرُ التَّابِعِينَ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«**خَيْرُ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ**». فَذَكَرَهُ.

قَالَ أُسَيْرٌ: فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَفَقَّدُ أَمْدَادَ أَهْلِ الْيَمَنِ يَسْأَلُهُمْ: «أَفِيكُمْ أُوَيسُ بْنُ عَامِرٍ؟».

حَتَّىٰ وَقَعَ لَهُ، فَقَالَ: «أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟».

قَالَ: «نَعَمْ».

=

فَانْطَلَقَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ».

قَالَ: «مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟».

فَهُوَ مُرَادِيٌّ قَرَنِيٌّ.

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «كَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ وَبَرِئْتَ مِنْهُ؟».

قَالَ: «نَعَمْ».

«إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟».

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «لَكَ أُمٌّ؟»

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تَأْتِيكُمْ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللهَ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ أُمٌّ هُوَ بِهَا بَرٌّ، فَإِنْ لَقِيتُمُوهُ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**»؛ فَاسْتَغْفِرْ لِي».

غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

هَذَا عُمَرُ رضي الله عنه كَمَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتَمِرُ: «فَاسْتَغْفِرْ لِي».

غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

«تُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ لَكَ إِلَىٰ الْعَامِلِ الَّذِي تَنْزِلُ بَلَدَهُ، وَتَكُونَ قَاطِنًا فِي مَحِلَّتِهِ؟».

فَقَالَ: «أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

كَانَ رَثَّ الْهَيْئَةِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، إِنْ رُئِيَ مَعَ أَهْلِ الْمَالِ وَالْغِنَىٰ يَقُولُ النَّاسُ: إِنَّمَا يُخَالِطُهُمْ لِيُؤَاكِلَهُمْ.. لِيُشَارِكَهُمْ فِي مَآكِلِهِمْ، لِكَيْ يَخْطِفَ الْخَطْفَةَ حِينًا بَعْدَ حِينٍ مِنْ دُنْيَاهُمْ!!

وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

وَإِنْ رُئِيَ مَعَ أَهْلِ الْإِعْدَامِ وَالْفَاقَةِ قِيلَ: يَخْدَعُهُمْ.

وَلَمَّا حَجَّ مَنْ حَجَّ -وَقَدْ تَرَكَهُ رَثَّ الْهَيْئَةِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ-، فَلَقِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَسَأَلَ عَنْهُ.

فَقَالَ: تَرَكْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَثَّ الْهَيْئَةِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَلَمَّا عَادَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَرَىٰ أَهْلًا وَمَالًا، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرْ لِي».

فَقَالَ: «أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ مِنْ حَجٍّ»، يَعْنِي: فَاسْتَغْفِرْ لِي أَنْتَ.

قَالَ: «بَلِ اسْتَغْفِرْ لِي».

قَالَ: «لَقِيتَ عُمَرَ؟».

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «أَسْتَغْفِرُ لَكَ بِشَرْطِ: أَلَّا تَدُلَّ عَلَيَّ».

يَعْنِي: أَلَّا تُخْبِرَ أَحَدًا بِالَّذِي أَخْبَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ.

لَنْ يَنْفَعَكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ حَدِيدًا لَكُنْتَ قَيْدًا، وَلَوْ كُنْتَ صَخْرًا لَكُنْتَ صَلْدًا.

أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟!!

«**الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَهَذَا مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُضْرَبَ حِينًا بَعْدَ حِينٍ، تَسْتَجْلِي فِيهِ مَوْضِعَ الْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ؛ لِتَتَحَصَّلَ عَلَىٰ زَادٍ تَحْيَا بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فِي قُحُولَتِهَا، فِي جَدْبِهَا بِعَوَاطِفِهَا، فِيمَا فِيهَا مِنْ قِلَّةِ قِيَامِ النَّاسِ عَلَىٰ مَبَادِئِهَا الْحَقَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا دِينُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فِي أَشْوَاكِ الْحَيَاةِ.. فِي دُرُبِهَا.. فِي مَسَالِكِهَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ حَائِزًا عَلَىٰ أَمْثَالِ هَذَا الزَّادِ لِكَيْ يَحْيَا؛ لِكَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَعِيشَ حَيَاةً آدَمِيَّةً إِنْسَانِيَّةً، فَإِذَا مَا تَرَقَّىٰ بِهِ الْحَالُ فَإِنَّهُ يَكُونُ بَعْدَ حِينٍ شَيْئًا؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْمِقْيَاسَ عِنْدَهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فَشَرَفُ النَّفْسِ، وَعِفَّةُ الْقَلْبِ، وَطَهَارَةُ الرُّوحِ، وَقِيَامُ الْمَرْءِ عَلَىٰ مَا أُمِرَ بِهِ، وَانْتِهَاؤُهُ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ؛ كُلُّ ذَلِكَ يَجْعَلُهُ كَمَا خَلَقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: إِنْسَانًا.

وَأَمَّا أَنْ يَتَرَدَّىٰ؛ فَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ تَرَدَّىٰ إِلَىٰ هُوَّةِ الْكُفْرِ يَقُولُ فِيهِ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فَأَيُّ شَيْءٍ هَؤُلَاءِ؟!! وَمَا يَبْلُغُونَ؟!!

لَا شَيْءَ؛ بَلْ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الْأَنْعَامِ ضَلَالًا، وَأَسْفَلُ مِنْهُمْ مَكَانًا، وَأَحَطُّ مِنْهُمْ قَدْرًا؛ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ إِنَّمَا تَقُومُ بِمَا كُلِّفَتْ بِهِ عَلَىٰ حَسَبِ التَّسْخِيرِ فِي أَرْضِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ كُلِّفُوا؛ فَمَاذَا صَنَعُوا؟!!

خَالَفُوا!!

كُلِّفُوا فَخَالَفُوا!!

الْعَقِيدَةُ وَالْمُرُوءَةُ سِرُّ الْحَيَاةِ الطَّاهِرَةِ

النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا، وَجَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﷺ، وَنَفَاذُهُ ﷺ إِلَىٰ أَطْوَاءِ الْقُلُوبِ بِتَعْلِيمِ رَبِّهِ إِيَّاهُ ﷺ شَيْءٌ يُعْطِينَا قَدْرًا عَظِيمًا مِنْ زَادٍ نَحْيَا بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرْسَلَ جُنْدًا إِلَىٰ (نَجْدٍ) أَسَرَتْ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٦٢، ٤٦٩، ٢٤٢٢، ٢٤٢٣، ٤٣٧٢)، وَمُسْلِمٌ (١٧٦٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦٧٩)، وَالنَّسَائِيُّ (١/ ١٠٩) (٢/ ٤٦)، مِنْ طَرِيقِ: اللَّيْثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**»، فَانْطَلَقَ إِلَىٰ نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، =

ثُمَامَةَ بْنَ أُثَالٍ، وَكَانَ سَيِّدَ الْيَمَامَةِ، سَيِّدَ بَنِي حَنِيفَةَ، فَأُتِيَ بِهِ أَسِيرًا، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَرُبِطَ هُنَالِكَ فِي سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ».

هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَالْعَرَبُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْخِلَالِ وَقَدِ اسْتَحْوَذُوا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْخِصَالِ مِمَّا جَعَلَهُمْ أَهْلًا إِذَا مَا أَسْلَمُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْقِيَادَ أَنْ يَقُودُوا بِإِسْلَامِهِمْ، لَا بِعِرْقِهِمْ وَلَا بِجِنْسِهِمْ، وَإِنَّمَا عَلَىٰ مَا رُكِّبَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجِنْسِ وَالْعِرْقِ مِنْ دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا أَنْ يَقُودُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَقَدْ كَانَ!

وَمَا زَالَتِ الْفُرْصَةُ سَانِحَةً لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ؛ لِأَنَّ دِينَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْأَخْذُ بِهِ عِزَّةٌ وَرِفْعَةٌ، وَارْتِفَاعٌ فَوْقَ الدَّنَاءَاتِ، وَحَمْلٌ لِرِسَالَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ كَمَا جَاءَ بِهَا سَيِّدُ الْكَائِنَاتِ ﷺ.

هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ؛ ضُرِبَتْ عَلَيْهِ الْمَذَلَّةُ ظَاهِرًا، فَتُرَاهَا تَنْفُذُ إِلَىٰ شِغَافِ الْقَلْبِ فَتَحْوِيهِ، وَإِلَىٰ عِقْدِ الضَّمِيرِ فَتَحْتَوِيهِ.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!

=

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَىٰ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ».

هُوَ هُنَالِكَ مُرْتَبِطٌ بِقُيُودِهِ وَأَوْثَاقِهِ فِي سَارِيَةِ الْمَسْجِدِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ عَلَيْهِ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

يَقُولُ: «خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تَمُنَّ تَمُنَّ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَهُ».

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَرَىٰ فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ خِلَالِ حُرُوفِهِ خَبِيئًا مَنْظُورًا، فَيَمْضِي وَلَا يَلْوِي عَلَىٰ شَيْءٍ، وَلَا يُعَقِّبُ.

«**وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

يَقُولُ: «خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ».

يَعْنِي: ذَا ثَأْرٍ لَدَيْكُمْ، قَدْ قَتَلَ مِنْكُمْ، وَأَصَابَ مِنْ دِمَائِكُمْ؛ فَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تَمْنُنْ تَمْنُنْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَهُ.

فَمَرَّ لَا يَلْوِي عَلَىٰ شَيْءٍ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، فَرُدَّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا رُدَّ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ.

فَقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

هَذِهِ صَنِيعَةٌ تَكُونُ عِنْدَ حَافِظٍ لَهَا، هَذِهِ يَدٌ تُوضَعُ عِنْدَ شَاكِرٍ لَهَا، هَذَا شَيْءٌ لَا يَذْهَبُ هَبَاءً، هَذَا رَجُلٌ يُعَامَلُ بِمِقْيَاسِ الرُّجُولَةِ: «**خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ**

فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا»، «إِذَا فَقِهُوا»، «إِذَا فَقُهُوا»(١).

أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَمَضَىٰ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَىٰ نَخْلٍ هُنَالِكَ، فَاغْتَسَلَ غُسْلَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ».

يَا وَيْحَ جَنْبِكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي!!

فَلِمَ لَمْ تَقُلْهَا مُرْتَبِطًا؟!!

لِمَ لَمْ تَقُلْهَا مُوثَقًا؟!!

هَذِهِ فِيهَا شُبْهَتَانِ:

أَمَّا الْأُولَىٰ: فَذِكْرٌ سَيِّءٌ يَبْقَىٰ مُخَلَّدًا، تَتَوَارَثُهُ الْأَعْقَابُ عَنِ الْأَعْقَابِ، وَالْحَفَدَةُ عَنِ الْأَبْنَاءِ، وَيَظَلُّ كَرَائِحَةِ طَبِيخٍ فِي صَحْنٍ لَمْ يُحْسَنْ غَسْلُهُ، تَظَلُّ عَالِقَةً هُنَالِكَ: إِنَّمَا أَسْلَمَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ، فَيُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا خَالِصَةً.

وَشَيْءٌ آخَرُ: يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا مَعَ نَفْسِهِ، فَيَقُولُ: يَا ثُمَامَةُ! وَالْوَقْتُ مُمْتَدٌّ هُنَالِكَ، يَسْمَعُ الْأَذَانَ، وَيَشْهَدُ بِعَيْنَيْهِ -مُرْتَبِطًا- الصَّلَاةَ هُنَالِكَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ،

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٧٤، ٤٦٨٩)، مِنْ طَرِيقِ: سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: «**أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ**» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَخِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا**».

وَيَسْمَعُ الْقُرْآنَ، وَيَرَىٰ الْأَصْحَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي عَلَاقَاتِهِمْ وَتَفَاعُلَاتِهِمْ، وَفِي حَرَكَاتِهِمْ، وَفِي سَكَنَاتِهِمْ، وَفِي صَلَوَاتِهِمْ، وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ.

الْوَقْتُ مُمْتَدٌّ هُنَالِكَ فِي هَدْأَةِ اللَّيْلِ إِلَىٰ السَّحَرِ الْأَعْلَىٰ.

وَيْحَكَ يَا ثُمَامَةُ! دِينُ الْحَقِّ هَذَا؛ فَلِمَ لَا تُسْلِمُ لِلَّهِ قِيَادَكَ؟!!

وَلِمَ لَا تُلْقِي لِلنَّبِيِّ مَقَادَكَ؟!!

وَلِمَ لَا تَعُودُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِجَمِيعِكَ كَمَا خَلَقَكَ بِكُلِّكَ؟!!

لِمَ لَا تُسْلِمُ؟!!

وَيْحَكَ يَا ثُمَامَةُ!

وَلَعَلَّ هَاجِسًا يَأْتِيهِ يَقُولُ: وَلَكِنْ أَلَا يُعَكِّرُ عَلَىٰ صَفْوِ الْإِسْلَامِ بِيَقِينِهِ أَنْ أَكُونَ مُسْلِمًا حَالَ الْقَيْدِ، وَمُسْلِمًا زِمَامَ الرُّوحِ وَأَنَا فِي الْأَوْثَاقِ وَالسَّلَاسِلِ؟!!

حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهُ فَقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

فَذَهَبَ فَأَتَىٰ بِهَا نَاصِعَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **ثُمَّ قَالَ**: «يَا مُحَمَّدُ ﷺ! لَمْ يَكُنْ وَجْهٌ قَطُّ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَالْآنَ وَجْهُكَ أَحَبُّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَلَمْ يَكُنْ بَلَدٌ قَطُّ هُوَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، وَأَمَّا الْآنَ فَبَلَدُكَ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَلَمْ يَكُنْ دِينٌ قَطُّ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، وَالْآنَ دِينُكَ أَحَبُّ الْأَدْيَانِ إِلَيَّ». هُوَ دِينُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَهَذِهِ خُطْوَةٌ أُخْرَىٰ إِلَىٰ الْأَمَامِ.

وَأَمَّا ثَالِثَةٌ؛ فَإِلَىٰ الْمُنْتَهَىٰ، قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ جُنْدَكَ أَخَذُونِي وَكُنْتُ بِسَبِيلِي إِلَىٰ الْعُمْرَةِ؛ فَمَا تَرَىٰ؟».

قَالَ: «**أَدِّهَا**».

فَخَرَجَ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ قَالُوا: «صَبَوْتَ؟! تَرَكْتَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَدَخَلْتَ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟!».

قَالَ: «لَا، بَلْ أَسْلَمْتُ، وَوَاللهِ! يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَا تَأْتِيكُمْ حَبَّةُ حِنْطَةٍ مِنَ الْيَمَامَةِ حَتَّىٰ يَأْذَنَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ».

هَذِهِ خُطْوَةٌ فِي عُمْقِ الزَّمَانِ إِلَىٰ الْأَمَامِ فِي الزَّمَانِ.

«وَاللهِ! لَا تَأْتِيكُمْ مَعْشَرَ قُرَيْشٍ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

هَذَا الْجَوْهَرُ الَّذِي تَنْطَوِي عَلَيْهِ النُّفُوسُ، وَالَّذِي تَتَحَرَّكُ بِهِ تِلْكَ الْأَشْبَاحُ رَائِحَاتٍ غَادِيَاتٍ؛ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ؟!!

«**خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ**».

❀❀❀

أَحْوَالُ الْمُسْلِمِ فِي الْحَيَاةِ

إِنَّ الْمُسْلِمَ الصَّحِيحَ يَعْلَمُ أَنَّهُ بَيْنَ أُمُورٍ جَعَلَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحْدِقَةً بِهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ لَا يَنْفَكُّ عَنْهَا بِحَالٍ.

فَأَحْوَالُهُ: أَنْ يَكُونَ **فِي نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** عَلَيْهِ تَتَابَعُ مُتَوَاتِرَةً؛ **فَحَقُّهَا الشُّكْرُ**.

أَوْ أَنْ يَكُونَ **فِي بَلِيَّةٍ قَدَّرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** عَلَيْهِ فَهِيَ إِلَيْهِ وَاصِلَةٌ؛ **فَحَقُّهَا الصَّبْرُ**.

أَوْ أَنْ يَكُونَ **ذَا ذَنْبٍ** وَمَعْصِيَةٍ؛ **فَحَقُّ ذَلِكَ التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ**.

فَهَذِهِ هَذِهِ.

النَّبِيُّ ﷺ مِنْ سُنَّتِهِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ**» ثَلَاثًا»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٥٩١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٠٠)، وَالنَّسَائِيُّ (٣/ ٦٨)، وَابْنُ مَاجَه (٩٢٨)، مِنْ طَرِيقِ: الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، اسْمُهُ شَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ**

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟

إِنَّمَا يَكُونُ الِاسْتِغْفَارُ مِنَ الذَّنْبِ؛ فَأَيُّ ذَنْبٍ هَاهُنَا؟!!

لَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ قَطُّ بِمَا كُلِّفَ بِهِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي كُلِّفَ بِهِ؛ وَلِذَلِكَ يُعَلِّمُنَا نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ يَلْحَقُ الطَّاعَةَ عَلَىٰ مَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ التَّقْصِيرِ، وَمَا أَحَاطَ بِهَا مِنَ الْقُصُورِ.

فَكَيْفَ الشَّأْنُ مَعَ الْمَعْصِيَةِ؟!!

الطَّاعَةُ فِي أَجَلِّ صُوَرِهَا -فِي الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ- تُخْتَمُ بِأَنْ يَقُولَ الْمَرْءُ بِعَقِبِ السَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّحَلُّلِ مِنْهَا: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ**».

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟!!

مِنَ الْخَلَلِ الَّذِي وَقَعَ فِي أَدَاءِ الْعِبَادَةِ، فَلَمْ تَأْتِ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَفْرُوضِ أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْهِ، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِذَلِكَ؟!!

إِنَّ النَّبِيَّ يُعَلِّمُنَا ﷺ.

فَالْمَرْءُ يَكُونُ فِي حَالٍ مِنْ حَالَاتِ الْمَعْصِيَةِ وَالْوُقُوعِ فِي الذُّنُوبِ؛ فَحَقُّ ذَلِكَ أَنْ يَتُوبَ، أَنْ يَسْتَغْفِرَ الرَّبَّ جَلَّوَعَلَا عَلَىٰ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ.

=

وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: «كَيْفَ الِاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ».

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١) ﷺ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

وَالذَّنْبُ فِي حَقِّهِ عَلَىٰ ذَلِكَ الْقَانُونِ الَّذِي يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ أَنَّ: حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَمَّا الذَّنْبُ يَأْتِي مِنْهُ ﷺ فَذَلِكَ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَمَعَ ذَلِكَ يَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً، يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**» ﷺ.

فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ نَظْرَةً مُحَقِّقَةً، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ بِدِينِهِ جَلَّوَعَلَا فِي الْخَلْقِ بِالْعَدْلِ، وَالْحَقِّ مِنْ غَيْرِ مَا ظُلْمٍ وَلَا جَوْرٍ -حَاشَا وَكَلَّا-.

بَلْ إِنَّ النَّاسَ حَتَّىٰ إِذَا مَا تَحَلَّلُوا مِنْ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَانْطَلَقَتْ أَيْدِيهِمْ فِي ثَرْوَاتِ النَّاسِ وَفِي أَمْوَالِهِمْ تَعِيثُ فِيهَا فَسَادًا، وَتَكْسِبُ حَرَامًا، وَتُحَصِّلُ إِثْمًا وَسُحْتًا؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ -كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ- يُرِي النَّاسَ فِي أَنْفُسِهِمْ آيَاتٍ؛ فَإِنَّهُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْحَرْبِيُّ فِي «غَرِيبِهِ»، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ نَاصِرٌ رَحِمَهُ اللهُ، فَتَجِدُهُ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»(٢): «**أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَبِيعُ خَمْرًا عَلَىٰ سَفِينَةٍ،**

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣٠٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٢٥٩)، مِنْ طَرِيقِ: الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:... الْحَدِيثَ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(٨٠٥٥، ٨٤٢٧، ٩٢٨٢)، وَإِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ فِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» =

فَكَانَ يَشُوبُ خَمْرَهُ بِالْمَاءِ -يَغُشُّ الْحَرَامَ، كَانَ يَغُشُّ الْخَمْرَ- **يَبِيعُ خَمْرًا عَلَىٰ سَفِينَةٍ، فَكَانَ يَشُوبُ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ، جَمَعَ دَنَانِيرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ مَعَهُ قِرْدٌ، فَأَخَذَ الْقِرْدُ الْكِيسَ خَطْفًا، وَصَعِدَ الدَّقَلَ** -وَهُوَ تِلْكَ الْخَشَبَةُ الَّتِي يُنْشَرُ عَلَيْهَا الشِّرَاعُ، يَقُولُ عَنْهَا أَهْلُ الْبَحَرِيَّةِ: الصَّارِي- **أَخَذَ الْقِرْدُ الْكِيسَ بِدَنَانِيرِ الرَّجُلِ، وَصَعِدَ الدَّقَلَ»**، فَكَانَ فِي أَعْلَاهُ، الْآنَ هُوَ بَيْنَ الرِّيحِ وَالْمَاءِ وَالسَّمَاءِ، وَالْكِيسُ فِي يَدِهِ، وَهُوَ قِرْدٌ وَابْنُ قِرْدٍ؛ فَمَاذَا يَكُونُ؟!

لَوْ أَنَّهُ أَلْقَىٰ الْكِيسَ جُمْلَةً فِي الْمَاءِ فَأَخْرِجْهُ إِنِ اسْتَطَعْتَ.

وَلَكِنِ انْظُرْ بِمَاذَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ؛ قَالَ: «**فَفَتَحَ الْكِيسَ، فَأَخَذَ دِينَارًا رَمَاهُ فِي الْبَحْرِ، وَآخَرَ رَمَاهُ عَلَىٰ السَّفِينَةِ، وَظَلَّ كَذَلِكَ حَتَّىٰ فَرَغَ الْكِيسُ**»، فَأَعَادَ مَا كَانَ مَغْشُوشًا إِلَىٰ أَصْلِهِ، وَأَعَادَ لِلرَّجُلِ ثَمَنَ خَمْرِهِ.

=

(٢/ ٨٨٩)، وَالْحَارِثُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١/ ٤٩٠)، مِنْ طَرِيقِ: حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ رَجُلًا حَمَلَ مَعَهُ خَمْرًا فِي سَفِينَةٍ يَبِيعُهُ، وَمَعَهُ قِرْدٌ**»، قَالَ: «**فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا بَاعَ الْخَمْرَ، شَابَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ بَاعَهُ**»، قَالَ: «**فَأَخَذَ الْقِرْدُ الْكِيسَ، فَصَعِدَ بِهِ فَوْقَ الدَّقَلِ**»، قَالَ: «**فَجَعَلَ يَطْرَحُ دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ، حَتَّىٰ قَسَمَهُ**».

وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٧/ ٣٠٩)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٤/ ٢٣٥)، وَأَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ» (٢/ ١٠٤)، وَفِي «تَارِيخِ أَصْبَهَانَ» (ص/ ٤٥٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٧/ ٢٣٠)، مِنْ طَرِيقِ: الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:... الْحَدِيثَ، مُنْقَطِعٌ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٨٤٤).

كَانَ يَشُوبُ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ؛ تَظُنُّهَا تَمْضِي سَبَهْلَلًا؟!!

يَا ضَيْعَةَ الْأَعْمَارِ تَمْضِي سَبَهْلَلًا!

لَا تَمْضِي هَكَذَا أَبَدًا..

«فَأَخَذَ الْكِيسَ، فَكَانَ يُلْقِي دِينَارًا فِي الْمَاءِ، وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ حَتَىٰ فَرَغَ الْكِيسُ، فَنَزَلَ».

هَذِهِ الْخَمْرُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذَمَّ النَّبِيُّ ﷺ شَوْبَهَا، أَيْ: غِشَّهَا، وَلَمْ يَذُمَّ بَيْعَهَا؛ لِمَ؟

لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُحَرَّمَةً فِي شَرِيعَةِ هَذَا الرَّجُلِ.

وَأَنْتَ خَبِيرٌ أَنَّ الْخَمْرَ لَمْ تُحَرَّمْ فِي شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلَ الْأَمْرِ، بَلْ كَانَتْ تُبَاعُ وَتُشْتَرَىٰ وَتُشْرَبُ.

ثُمَّ ذَمَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْخَمْرَ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ حَرَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقْرَبَ الْمَرْءُ الصَّلَاةَ سَكْرَانًا، ثُمَّ إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ حَرَّمَهَا تَحْرِيمًا جَازِمًا، وَلَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عَشْرَةً بِلَعْنَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَفِي بَدْءِ الْأَمْرِ كَانَ غِشُّ الْخَمْرِ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ مُحَرَّمًا، وَكَانَ شُرْبُهَا غَيْرَ حَرَامٍ حَتَّىٰ حُرِّمَتْ.

فَهَذَا هَذَا؛ فَلَا تَسْتَهْوِلَنَّهُ فِي الْحَدِيثِ.

وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُخْبِرُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَا كَانَ مُلْتَوِيَ السَّرِيرَةِ، إِذَا كَانَ مُعْوَجَّ الضَّمِيرِ، إِذَا كَانَ غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ فِي حَرَكَةِ حَيَاتِهِ، وَفِي نَظَرِهِ إِلَىٰ الْحَيَاةِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يَرَىٰ مِنْ مُعْتَقَدِهِ فِي قَلْبِهِ وَيَقِينِهِ فِي فُؤَادِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي شَيْءٍ.

لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الْبَرَكَةَ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْهَلَاكَ وَالدَّمَارَ فِي مُخَالَفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أَطَاعُوا النَّبِيَّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مَا وُجِدَ فِي الدُّنْيَا شَرٌّ قَطُّ.

لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَطَاعُوا النَّبِيَّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مَا وُجِدَ فِي الدُّنْيَا شَرٌّ قَطُّ، وَإِنَّمَا يُوجَدُ الشَّرُّ فِي الْمَكَانِ فِي الْبَلَدِ فِي الْمَحَلَّةِ عَلَىٰ حَسَبِ مُخَالَفَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَكُلَّمَا زَادَتِ الْمُخَالَفَةُ فَذَلِكَ.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- يُعَامِلُ الْخَلْقَ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يُعَامِلُ الْخَلْقُ رَبَّهُمْ بِقُلُوبِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ.

فَفِي الْحَدِيثِ -وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ- عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «**مِنْ أَنَّ اللهَ جَعَلَ الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا** -فَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَقْضِي فِي مَالِهِ عَلَىٰ حَسَبِ عِلْمِهِ،

وَيَمْضِي فِيهِ مُوَفَّقًا مُسَدَّدًا؛ فَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، يَكْسِبُ مِنْ حَلَالٍ، وَيَضَعُ فِي مَحَلِّهِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ، وَإِنَّمَا هُوَ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-؛ **فَهَذَا بِأَرْفَعِ الْمَنَازِلِ.**

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ».

آتَاهُ اللهُ عِلْمًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا؛ فَكَانَ مَاذَا؟ لَا شَيْءَ.

يَقُولُ -بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ-: لَوْ أَنَّ اللهَ آتَانِي مِثْلَهُ، يَعْنِي: مِثْلَ هَذَا الَّذِي أُوتِيَ الْمَالَ لَكُنْتُ مِثْلَهُ، يَعْنِي: فِي الْإِنْفَاقِ عَلَىٰ السَّوِيَّةِ مِنْ غَيْرِ مَا جَوْرٍ وَلَا ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ؛ فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ.

«وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ».

رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ، يَكْسِبُ مِنْ حَرَامٍ، وَيَضَعُ فِي حَرَامٍ، وَلَا يَرْقُبُ فِي إِنْفَاقِهِ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَلَا يَضَعُ دِرْهَمًا فِي مَكَانٍ يَنْبَغِي أَنْ يُوضَعَ فِيهِ؛ فَهَذَا بِأَرْدَىٰ وَأَسْفَلِ الْمَنَازِلِ.

«وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1].

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٢٥)، وَابْنُ مَاجَه (٤٢٢٨)، وأَحْمَدُ (١٨٠٢٤، ١٨٠٣١)، =

أَمَّا الْأَوَّلُ فَتَمَتَّعَ بِمَالِهِ، وَأَنْفَقَهُ فِي مَلَذَّاتِهِ، وَحَصَّلَ بِهِ مَا حَصَّلَ مِنَ اسْتِجَابَاتٍ لِدَعَوَاتِ شَهَوَاتِهِ، وَاسْتِجَابَاتٍ لِنِدَاءَاتِ غَرَائِزِهِ.

وَأَمَّا هَذَا فَمَاذَا صَنَعَ؟!!

تَمَنَّىٰ!!

وَلَكِنْ تَمَنَّىٰ مُخْلِصًا، وَعَقَدَ النِّيَّةَ خَالِصَةً؛ لِمَاذَا؟ لِوَجْهِ الشَّيْطَانِ؛ بَلْ لِقَفَاهُ، فَكَانَ مَا كَانَ: «**فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**».

❀❀❀

=

مِنْ حَدِيثِ: أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه.
وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٢٨٧).

مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ فَتْحُ بَابِ التَّوْبَةِ

إِنَّ مِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ: أَنْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَنَا بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحًا.

فَالْبَشَرُ غَيْرُ الْمَعْصُومِينَ مَهْمَا بَلَغُوا مِنْ إِنَابَتِهِمْ، وَمَهْمَا بَلَغُوا مِنْ سِمَاتِ تُقَاهُمْ بِقِيَامِهِمْ عَلَىٰ أَمْرِ رَبِّهِمْ جَلَّوَعَلَا فَبَابُ الزَّلَلِ مَفْتُوحٌ أَمَامَ الْبَشَرِ غَيْرِ الْمَعْصُومِينَ عَلَىٰ مِصْرَاعَيْهِ.

وَالْمُوَفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ الثَّابِتُ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْقَسَمِ قَالَ: «**لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»(١).

وَيَقُولُ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ، يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ! صَرِّفْ قَلْبِي عَلَىٰ طَاعَتِكَ**»(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦١٧، ٦٦٢٨، ٧٣٩١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٢٦٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٥٤٠)، وَالنَّسَائِيُّ (٧/ ٢)، مِنْ طَرِيقِ: مُوسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ:... الْحَدِيثَ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢١٤٠)، وَابْنُ مَاجه (٣٨٣٤)، مِنْ طَرِيقِ: الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَيَزِيدَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي**

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ إِذَا مَا قَامَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ يَسْتَفْتِحُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ!**» ﷺ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»(١).

فَالَّذِي يَهْدِي هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ هُوَ اللهُ.

وَأَمَّا هِدَايَةُ الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ فَمَبْذُولَةٌ، جَعَلَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حُجَّةً قَائِمَةً عَلَىٰ رُؤُوسِ الْعِبَادِ، وَآتَاهَا خَيْرَ الْعِبَادِ مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢**﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

وَأَمَّا هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ، هِدَايَةُ الْقُلُوبِ بِحَقِيقَتِهَا إِلَىٰ الطَّاعَةِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالْهِدَايَةِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالْخُشُوعِ، وَالْإِخْبَاتِ؛ فَذَلِكَ لِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُؤْتِهَا سَيِّدَ الْكَائِنَاتِ ﷺ ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ [القصص: ٥٦]،

=

عَلَىٰ دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**».

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (١٠٢).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧٧٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٧٦٧، ٧٦٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٤٢٠)، وَالنَّسَائِيُّ (٣/ ٢١٢)، وَابْنُ مَاجَه (١٣٥٧)، مِنْ طَرِيقِ: يَحْيَىٰ بْن أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: ... الْحَدِيثَ.

وَكَانَ حَرِيصًا -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي ﷺ- عَلَىٰ أَنْ يَهْتَدِيَ عَمُّهُ، أَنْ يَقُولَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، كَلِمَةٌ يُحَاجُّ لَهُ بِهَا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَنَفَسِهِ؛ يَقُولُ: «**يَا عَمِّ! قُلْهَا كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»(١).

فَلَمْ يَقُلْهَا، وَمَاتَ كَافِرًا ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ: التَّوْبَةَ، وَجَعَلَ بَابَهَا مَفْتُوحًا، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هُوَ بَابٌ إِلَىٰ الْغَرْبِ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ، أَوْ مَسِيرَةُ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْهِ أَرْبَعِينَ** أَوْ قَالَ: **سَبْعِينَ** -رِوَايَتَانِ- **سَنَةً، لَا يُغْلَقُ بَابُ التَّوْبَةِ الْمَفْتُوحُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ**»(٢)

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١)، وَمُسْلِمٌ (٢٤)، وَالنَّسَائِيُّ (٤/ ٩٠)، مِنْ طَرِيقِ: الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] الآيَةَ».

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٣٥، ٣٥٣٦)، وَابْنُ مَاجَه (٤٠٧٠)، مِنْ طَرِيقِ: عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ المُرَادِيَّ، أَسْأَلُهُ عَنِ المَسْحِ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا زِرُّ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ العِلْمِ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
=

يَعْنِي: حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ.

التَّوْبَةُ: الْأَوْبَةُ، التَّوْبَةُ: الرُّجُوعُ، وَهِيَ: الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

يَحْتَاجُ الْمَرْءُ هَذَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ، وَمِنَ الْوَحْيِ الْحَيِّ الثَّانِي الَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ تَحَصَّلَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ شُرُوطِهَا؛ لِأَنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَىٰ الْعَبْدِ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ، وَهِيَ مَقَامٌ لَا يَنْفَكُّ عَنِ السَّالِكِينَ وَلَوْ كَانُوا بِأَعْلَىٰ الْمَقَامَاتِ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾: وَهُمْ مُؤْمِنُونَ يُنَادِيهِمْ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ، وَعَلَّقَ عَلَىٰ هَذِهِ التَّوْبَةِ الْفَلَاحَ وَالنَّجَاحَ دُنْيَا وَآخِرَةً ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ مِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ أَنَّ التَّوْبَةَ مَفْتُوحٌ بَابُهَا حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ.

عِنْدَمَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ بِزَمَنِهَا الْعَامِّ كَمَا تَنْقَطِعُ بِزَمَنِهَا الْخَاصِّ فِي حَقِّ كُلِّ تَائِبٍ عِنْدَ الْغَرْغَرَةِ، إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ انْقَطَعَ أَوَانُ التَّوْبَةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ، وَيَظَلُّ أَوَانُ التَّوْبَةِ

=

«**إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا، عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ، لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**».

وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤١٩١).

مَفْتُوحًا بِالنِّسْبَةِ لِعُمُومِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا.

وَانْظُرْ إِلَىٰ كَلَامِ رَبِّكَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ [البروج: ١٠]، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ؛ إِذْ شَقُّوا لَهُمُ الْأَخَادِيدَ، وَخَدَّدُوهَا، وَأَشْعَلُوا النِّيرَانَ فِيهَا، وَأَتَوْا بِالنَّاسِ، إِنْ لَمْ يَكْفُرُوا أَلْقَوْا بِهِمْ فِيهَا ﴿فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

كَمَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَىٰ الْأُخْدُودِ يَتَلَهَّبُ، وَالنَّارُ فِيهِ تَتَلَظَّىٰ، وَرَائِحَةُ اللَّحْمِ الْمَشْوِيِّ وَالْمُحْتَرِقِ تَنْتَشِرُ فِي الْآفَاقِ؛ حَتَّىٰ إِنَّهَا لَتَتَقَزَّزُ مِنْهَا النُّفُوسُ السَّوِيَّةُ وَالْفِطَرُ الْمُسْتَقِيمَةُ، وَالْآخَرُونَ عَلَىٰ الْأَخَادِيدِ قُعُودٌ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ [البروج: ٧].

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**فَتَأْتِي امْرَأَةٌ وَمَعَهَا رَضِيعٌ**»، هَذَا عَلَىٰ صَدْرِهَا.. يَا فِلْذَةَ الْكَبِدِ، وَيَا انْصِدَاعَ الْكَبِدِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الْحَسْرَةَ؛ مَاذَا أَصْنَعُ الْآنَ؟!!

كَأَنَّمَا تُنَاجِي نَفْسَهَا وَهِيَ تُدْفَعُ دَفْعًا، وَتُخَيَّرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تُؤْمِنَ بِالْمَلِكِ الَّذِي عَبَّدَ النَّاسَ لِوَجْهِهِ الْقَبِيحِ، وَكَانَ مَا كَانَ، كَمَا فِي قِصَّةِ الْغُلَامِ يَحْكِيهَا النَّبِيُّ الْهُمَامُ ﷺ، وَيُسَاقُ النَّاسُ سَوْقًا -وَقَدْ آمَنُوا بِاللهِ رَبِّ الْغُلَامِ-؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخَيَّرُوا بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَعُودُوا إِلَىٰ دِينِ الْكُفْرِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ.

لَا بَأْسَ!

«**وَتَأْتِي هَذِهِ** -كَمَا يَحْكِي النَّبِيُّ ﷺ- **فَتَتَرَدَّدُ**»، تَتَرَدَّدُ لَا لِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا تَتَرَدَّدُ لِهَذَا الرَّضِيعِ؛ مَا ذَنْبُ هَذَا؟!!

مَا ذَنْبُهُ؟!!

وَمَا هَذَا الْعَذَابُ النَّازِلُ عَلَيْهِ؟! لِمَ؟!!

وَمَاذَا تَصْنَعُ الْآنَ؟!!

أَتَنْكُصُ عَلَىٰ الْأَعْقَابِ؟!!

أَتَكْفُرُ بِرَبِّ الْأَرْبَابِ؟!!

أَتَتَرَدَّىٰ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ؟!!

أَتَدَعُ لَائِحَةَ الْحَقِّ إِلَىٰ دَيَاجِيرِ الظُّلْمَةِ الْكُفْرِ؟!!

مَاذَا تَصْنَعُ الْآنَ؟!!

يَا لَقَلْبِ الْأُمِّ يَكَادُ يَنْفَطِرُ؛ بَلْ قَدِ انْفَطَرَ!

وَيَأْتِي التَّأْيِيدُ مِنَ اللهِ؛ هَذَا رَضِيعٌ يَنْطِقُ -وَلَمْ يَنْطِقْ بَعْدُ، وَلَمْ تَجْرِ اللُّغَةُ عَلَىٰ لِسَانِهِ بَعْدُ، مَا يُحْسِنُ لِسَانُهُ إِلَّا لِلْمُنَاغَاةِ، يُجَمْجِمُ بِمَا لَا يُفْهَمُ؛ وَلَكِنَّهَا الْعَاطِفَةُ يَأْتِي بِهَا الْقَلْبُ وَصْلًا بَيْنَ قَلْبِهِ وَقَلْبِ أُمِّهِ-، فَلْيَنْطِقِ الْآنَ: «**يَا أُمَّتَاهُ! يَا أُمَّهْ! إِنَّكِ عَلَىٰ الْحَقِّ فَامْضِي**»، **فَتَدْخُلُ بِهِ النَّارَ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٠٠٥)، مِنْ طَرِيقِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَىٰ الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ**=

=

السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَىٰ النَّاسُ، فَأَتَىٰ الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَىٰ الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَىٰ فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا

=

وَيُنَادِيهِمْ رَبُّنَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾.

انْظُرْ إِلَىٰ رَحْمَتِهِ بِآثَارِهَا! يَا لَرَحْمَةِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ!

قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ، وَقَعَدُوا لِأَوْلِيَائِهِ بِكُلِّ مَرْصَدٍ، وَيَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ.

تُوبُوا وَأَنِيبُوا وَارْجِعُوا؛ فَإِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

مِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ: أَنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا جَعَلَ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحًا، فَلَوْ كَفَرَ الْمَرْءُ -عِيَاذًا بِاللهِ، وَلِيَاذًا بِجَنَابِهِ الرَّحِيمِ-، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَحَسُنَ

=

بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَىٰ الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّىٰ جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَىٰ الْحَقِّ».

إِسْلَامُهُ؛ قَبِلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَالْعُلَمَاءُ يَخْتَلِفُونَ -حِينَئِذٍ- فِي أَمْرِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي حَالِ إِسْلَامِهِ قَبْلَ أَنْ يَكْفُرَ بِاللهِ، ثُمَّ لَمَّا عَادَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَبِطَتْ تِلْكَ الْأَعْمَالُ، وَذَهَبَ أَجْرُهَا كَأَنْ لَمْ تَكُنْ، أَمْ يُعَادُ إِلَيْهِ أَجْرُهَا كَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ؟

هَذَا طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ارْتَدَّ، وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حَدٍّ، بَلْ تَنَبَّأَ، وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حَدٍّ، بَلْ غَزَا مَدِينَةَ النَّبِيِّ ﷺ.

تَنَبَّأَ وَادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ، وَأَتَىٰ بِجُنْدٍ يَدْهَمُ بِجُنْدِهِ مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَتَعْلَمُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه الَّذِي قَالَ فِيهِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: «مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مِنَّةً فِي دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الرِّدَّةِ».

فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَيَّدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ هَذَا الدِّينَ، وَهُوَ بَرٌّ صَادِقٌ صِدِّيقٌ رضي الله عنه، وَأَعَزَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَأَعَزَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الدِّينَ بِالْإِمَامِ أَحْمَدَ يَوْمَ الْمِحْنَةِ.

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه **يَقُولُ**: «وَاللهِ! لَوْ جَرَّتِ الْكِلَابُ بِأَقْدَامِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَنَعَنِي ذَلِكَ عَنْ إِنْفَاذِ الْجَيْشِ الَّذِي أَعَدَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[1].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (ص/ ٣٤٥) (دَارُ الْآفَاقِ الْجَدِيدَةِ - بَيْرُوتُ)، وابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٢/ ٦٠) (٣٠/ ٣١٥)، مِنْ طَرِيقِ: عَبَّاد بْن كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:...فَذَكَرَهُ.
وعَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ: مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ.

فَجَاءَ طُلَيْحَةُ يَغْزُو غَزْوَهُ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فخَرَجَ لَهُ جُنْدُ اللهِ، وَكَانَ قَبْلُ مِنْهُمْ، وَيَصِيرُ بَعْدُ مِنْهُمْ رضي الله عنه، وَلَكِنْ خَرَجَ إِلَيْهِ جُنْدُ اللهِ، فَشَتَّتُوا جُنْدَهُ، وَمَزَّقُوا جَمْعَهُ، وَكَادَ يُؤْخَذُ أَسِيرًا لَوْلَا أَنَّهُ ضَرَبَ فِي الْأَرْضِ مُبْعِدًا، ثُمَّ أَسْلَمَ وَأَنَابَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّىٰ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدًا رضي الله عنه.

فَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ يَتَوَرَّطُ بِأَسْبَابِ التَّوَرُّطِ وَهُوَ لَا يَدْرِي.

❀❀❀

اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: **«إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَعْمِلُكُمْ عَلَيْهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؛ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»**.

إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ فِي مَنْظَرِ الْعَيْنِ، خَضِرَةٌ فِي مَذَاقِ النَّفْسِ.

وَالشَّيْءُ إِذَا كَانَ حُلْوًا فِي مَنْظَرِ الْعَيْنِ، وَكَانَ حُلْوًا فِي مَنْظَرِ النَّفْسِ وَفِي خَاصَّتِهَا؛ فَإِنَّ النَّفْسَ تَنْصَبُّ إِلَيْهِ.

«إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَعْمِلُكُمْ عَلَيْهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؛ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا تَرَكْتُ فِتْنَةً هِيَ أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»**[٢].

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٤٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٩١)، وَابْنُ مَاجَه (٤٠٠٠)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:... الْحَدِيثَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٩٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٤٠، ٢٧٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٧٨٠)، وَابْنُ مَاجَه (٣٩٩٨)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: =

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَمْ أَرَ مِنْ مُذْهِبٍ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْكُنَّ**».. يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا عَلِمْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ مِنْكُنَّ**»(١).. «**لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ**»؛ فَكَيْفَ بِالرَّجُلِ غَيْرِ الْحَازِمِ؟!

فَدُونَكَ! هِيَ النَّارُ فَاجْتَنِبْهَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**».

وَالْأَمْرُ الْآنَ مَبْذُولٌ عَلَىٰ طَرْفِ الْبَنَانِ، وَأَنْتَ عَلَىٰ حَسَبِ مَا يُثَبِّتُكَ بِهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَالشابُّ الَّذِي يَحْفَظُ اللهُ عَلَيْهِ شَبَابَهُ، فَيُسَلِّمُ لَهُ شَبَابَهُ يَعْجَبُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ الَّذِي صَحَّحَهُ الشَّيْخُ

=

... الْحَدِيثَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٠٤، ٩٥٦، ١٤٦٢، ١٩٥١، ٢٦٥٨)، وَمُسْلِمٌ (٨٨٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٣/ ١٨٧)، وَابْنُ مَاجَه (١٢٨٨)، مِنْ طَرِيقِ: عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَىٰ المُصَلَّىٰ، فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ**» قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**» قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**».

نَاصِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ: «**يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَا صَبْوَةَ لَهُ**»(١).

فَعَلَىٰ الْمَرْءِ إِذَا تَوَرَّطَ أَنْ يَتُوبَ، وَإِذَا وَقَعَ فِي الْعُيُوبِ أَنْ يَعُودَ إِلَىٰ غَفَّارِ الذُّنُوبِ وَسِتِّيرِ الْعُيُوبِ؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ يَقْبَلُ الْمَتَابَ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الْبَرُّ الرَّحِيمُ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَأَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْخِتَامَ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(١٧٣٧١)، مِنْ طَرِيقِ: ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي عُشَّانَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:... الْحَدِيثَ.
وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٨٤٣).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ الْمَرْءَ لِكَيْ يَكُونَ تَائِبًا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحَصِّلَ شُرُوطَ التَّوْبَةِ بِشُرُوطِهَا.

وَأَوَّلُ تِلْكَ الشُّرُوطِ: الْإِخْلَاصُ، أَنْ يَتُوبَ لِلَّهِ، لَا لِمَعَرَّةٍ تَلْحَقُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَا لِخَوْفٍ يَشْمَلُ قَلْبَهُ مِنْ وُقُوعِ عِقَابٍ عَلَيْهِ، وَلَا ابْتِغَاءَ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا بِعَرَضٍ زَائِلٍ يَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ.

أَنْ يَتُوبَ لِلَّهِ، وَأَنْ يَعُودَ إِلَىٰ اللهِ.

الْإِخْلَاصُ.

وَأَنْ يُقْلِعَ عَنِ الذَّنْبِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ تَائِبًا مِنْ ذَنْبٍ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ، بَلْ هَذَا اسْتِهْزَاءٌ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يَكُونُ مُقِيمًا عَلَىٰ الذَّنْبِ وَهُوَ يَدَّعِي التَّوْبَةَ مِنهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ تَائِبًا؟!!

أَيُّ تَوْبَةٍ هَذِهِ؟!!

وَإِنَّمَا التَّوْبَةُ: الرُّجُوعُ مِنَ الذُّنُوبِ إِلَىٰ سِتِّيرِ الْعُيُوبِ، إِلَىٰ غَفَّارِ الذُّنُوبِ، إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَكَيْفَ يَظَلُّ مُقِيمًا عَلَىٰ ذُنُوبِهِ وَآثَامِهِ وَخَطَايَاهُ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ تَائِبٌ إِلَىٰ اللهِ؟!!

فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِقْلَاعِ عَنِ الذَّنْبِ فَوْرًا؛ فَالتَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ بَعْدَ كُلِّ ذَنْبٍ.

عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَتُوبَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِذَا أَذْنَبَ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ إِذَا أَجْرَمَ، وَأَنْ يَعُودَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِذَا ابْتَعَدَ عَنْهُ.

الْإِخْلَاصُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يُقْلِعَ عَنِ الذَّنْبِ تَوًّا وَفِي اللَّحْظَةِ، وَأَنْ يَعُودَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ تَتَلَهَّبَ فِي قَلْبِهِ نِيرَانُ النَّدَمِ عَلَىٰ مَا أَجْرَمَ وَأَسَاءَ فِي حَقِّ رَبِّهِ وَسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ.

وَالنَّدَمُ تَوْبَةٌ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْدَمَ عَلَىٰ مَا فَرَّطَ فِي حَقِّ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي جَنْبِ اللهِ، وَعَلَىٰ هَذَا النَّدَمِ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا فِي قَلْبِهِ، دَائِرًا بَيْنَ حَنَايَاهُ حَتَّىٰ يَكُونَ كَالْوِقَايَةِ الَّتِي تَقِيهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الذَّنْبِ بَعْدَ إِذْ تَابَ مِنْهُ.

وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْزِمَ عَزْمًا أَكِيدًا عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ إِلَىٰ هَذَا الذَّنْبِ أَبَدًا.

وَأَمَّا أَنْ يُقْلِعَ عَنِ الذَّنْبِ، وَيَنْدَمَ عَلَيْهِ، وَيَرْقُبَ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ تَسْنَحُ فِي الْأُفُقِ حَتَّىٰ يَقَعَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُعَدُّ تَائِبًا، بَلْ يَكُونُ مُسْتَهْزِئًا، فَلَا يُعَدُّ تَائِبًا حَتَّىٰ يَعْزِمَ عَزْمًا أَكِيدًا عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ إِلَىٰ الذَّنْبِ مَرَّةً أُخْرَىٰ.

أَمَّا إِذَا كَانَ فَاسِقًا يُبَدِّدُ الْمَالَ فِي الْمَلَذَّاتِ، وَفِي طَلَبِ الشَّهَوَاتِ، وَمُعَاقَرَةِ أُمِّ الْكَبَائِرِ وَالْخَبَائِثِ، فَلَمَّا أَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ، وَقَلَّ مَالُهُ وَشَحَّ فَأَقْلَعَ عَنْ ذَلِكَ تَائِبًا، وَالْعَزْمُ مَعْقُودٌ فِي الْقَلْبِ أَكِيدًا عَلَىٰ أَنَّهُ مَتَىٰ مَا تَمَلَّكَ الْمَالَ بَعْدَ حِينٍ عَادَ إِلَىٰ سَائِرِ مَا كَانَ قَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبْلُ؛ فَهَذَا مُسْتَهْزِئٌ لَا تَائِبٌ.

وَهَذَا كُلُّهُ إِذَا تَعَلَّقَتِ التَّوْبَةُ بِحَقِّ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَإِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ مُتَعَلِّقَةً بِحُقُوقِ الْعِبَادِ؛ فَلَا تَوْبَةَ حَتَّىٰ تُرَدَّ الْمَظَالِمُ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا.

فَمَنِ اغْتَصَبَ مَالًا فَلَا تَصِحُّ لَهُ تَوْبَةٌ حَتَّىٰ يُرْجِعَهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ.

وَمَنِ اغْتَصَبَ عَقَارًا فَلَا تَصِحُّ لَهُ تَوْبَةٌ حَتَّىٰ يَرُدَّهُ إِلَىٰ مَالِكِهِ.

وَمَنِ اغْتَابَ فَالْحَدِيثُ الْمَوْضُوعُ أَنَّ كَفَّارَةَ الْغِيبَةِ: «أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ»؛ لَا يَقُومُ.

وَالْعُلَمَاءُ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ.

فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَنِ اغْتَبْتَهُ فَعَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ لِتَسْتَحِلَّهُ، فَتَقُولَ: وَقَعْتُ فِي عِرْضِكَ، وَسَبَبْتُكَ، وَشَتَمْتُكَ، وَقُلْتُ فِيكَ مَا هُوَ فِيكَ، فَلَمْ أَبْهَتْكَ، وَإِنَّمَا اغْتَبْتُكَ فَقَطْ؛ فَاجْعَلْنِي فِي حِلٍّ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا، وَأَنْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَوْ طَلَبَ مِنْهُ مَالًا جَزَاءَ أَنْ يُحِلَّهُ فَلْيُعْطِهِ هَذَا الْمَالَ.

يعْنِي: إِنْ قَالَ لَهُ: لَا أُحِلُّكَ مِنْ هَذِهِ الْغِيبَةِ وَلَا مِنْ هَذَا الذَّنْبِ وَلَا أَجْعَلُكَ فِي حِلٍّ حَتَّىٰ تُعْطِيَنِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ؛ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ وَحَتَّىٰ يُحِلَّهُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: لَا، بَلِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، وَأَنْ يَذْكُرَهُ بِالْمَحَامِدِ فِي الْمَجَالِسِ، وَعِنْدَ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ كَانَ يَذْكُرُهُ عِنْدَهُمْ وَفِي تِلْكَ الْمَجَالِسِ بِمَا يَسُوءُ مِمَّا هُوَ فِيهِ حَتَّىٰ تَكُونَ غِيبَةً؛ فَإِنَّ الْغِيبَةَ هِيَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذِكْرُكَ إِيَّاهُ بِمَا فِيهِ؛ فَهَذَا هُوَ الْبُهْتَانُ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟».

قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ** -مِمَّا ذَكَرْتَهُ بِهِ مِمَّا يَسُوءُ- **فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(١).

فَتَدُورُ أَنْتَ فِي الْمَجَالِسِ الَّتِي اغْتَبْتَهُ فِيهَا، وَذَكَرْتَهُ فِيهَا بِسُوءٍ فَتَذْكُرُهُ بِالْخَيْرِ، وَتُثْنِي عَلَيْهِ بِالْمَحَامِدِ، وَتُعَطِّرُ الْمَجَالِسَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

وَكَيْفَ تَصْنَعُ وَأَنْتَ لَهُ مُبْغِضٌ؟! إِذْ إِنَّكَ لَنْ تَغْتَابَ أَبَاكَ، وَلَنْ تَغْتَابَ مَنْ تُحِبُّ، إِنَّمَا تَغْتَابُ مَنْ تُبْغِضُ، وَهَذَا مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا كَانَ مُبْغِضًا لِإِنْسَانٍ فَإِنَّهُ يَجْتَهِدُ فِي أَلَّا يَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَكَيْفَ يُوَصِّلُ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٨٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٧٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٣٤)، مِنْ طَرِيقِ: العَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْغِيبَةُ؟ قَالَ: ... الْحَدِيثَ.

إِلَيْهِ خَيْرَ الْخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ، وَصَفْوَةَ صَفْوَةِ الْخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ هُوَ؛ إِذْ إِنَّ الْجَزَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْحَسَنَاتِ؛ وَحِينَئِذٍ أَنْتَ تُهْدِيَ إِلَيْهِ حَسَنَاتِكَ وَأَنْتَ لَهُ مُبْغِضٌ؛ فَهَلْ هَذَا عَقْلٌ؟!!

إِذَا كَانَ الذَّنْبُ مُتَعَلِّقًا بِحُقُوقِ الْعِبَادِ فَلَا تَوْبَةَ حَتَّىٰ تُؤَدَّىٰ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَحَتَّىٰ تُعَادَ إِلَىٰ أَرْبَابِهَا، وَحَتَّىٰ يَتَحَلَّلَ الْمَرْءُ مِنْ جَرَّائِهَا.

وَيَبْقَىٰ شَرْطٌ خَامِسٌ مِنْ شُرُوطِ التَّوْبَةِ: أَنْ تَقَعَ التَّوْبَةُ فِي الزَّمَانِ الْخَاصِّ لَكَ قَبْلَ أَنْ تُغَرْغِرَ، وَقَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الرُّوحُ الْحُلْقُومَ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ؛ فَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ يُغَرْغِرُونَ، وَلَيْسَتْ لِلَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ يُحْتَضَرُونَ.

وَإِنَّمَا التَّوْبَةُ وَأَنْتَ فِي حَالِ الْعَافِيَةِ وَقَبْلَ الْغَرْغَرَةِ؛ وَإِلَّا فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ تَوْبَةً، وَلَا تُقْبَلُ.

وَأَنْ تَقَعَ فِي السِّيَاقِ الْعَامِّ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا.

وَلِلْعُلَمَاءِ هَاهُنَا سُؤَالٌ مَشْهُورٌ: إِذَا كَانَ قَائِمًا عَلَىٰ ذُنُوبٍ، فَتَابَ مِنْ ذَنْبٍ، وَأَقَامَ عَلَىٰ آخَرَ، وَأَصَرَّ عَلَيْهِ؛ هَلْ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ أَوْ لَا تُقْبَلُ؟

يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِذَا تَابَ مِنْ ذَنْبٍ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ ذَنْبٍ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ مِنَ الذَّنْبِ الْأَوَّلِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: تُقْبَلُ مُطْلَقًا.

وَقَالَ فَرِيقٌ ثَالِثٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: هَاهُنَا تَفْصِيلٌ:

فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ الَّذِي تَابَ مِنْهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ؛ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي تَابَ مِنْهُ، وَيَبْقَىٰ عَلَيْهِ إِثْمُ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الذَّنْبُ الَّذِي تِيبَ مِنْهُ مِنْ جِنْسِ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ.

يَعْنِي: إِذَا كَانَ يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، فَتَابَ مِنَ الرِّبَا، وَظَلَّ مُقِيمًا عَلَىٰ شُرْبِ الْخَمْرِ؛ يَقْبَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ تَوْبَتَهُ مِنَ الرِّبَا، وَيَظَلُّ عَلَيْهِ إِثْمُ شُرْبِ الْخَمْرِ، يَلْزَمُهُ حَدُّهُ؛ لِأَنَّ الذَّنْبَيْنِ لَيْسَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ يَتَوَرَّطُ فِي فَاحِشَةِ الزِّنَا، وَيَتَتَبَّعُ النِّسَاءَ بِالنَّظَرِ يُغَلْغِلُ الْبَصَرَ؛ فَهَذَانِ ذَنْبَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا تَابَ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَظَلَّ مُقِيمًا عَلَىٰ الْآخَرِ؛ فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِمَّا تَابَ مِنْهُ لَا تُقْبَلُ مِنْهُ.

وَالْحَقُّ أَنَّ التَّوْبَةَ تُقْبَلُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ إِذَا تَابَ مِنْهُ الْمَرْءُ بِشُرُوطِهِ، وَيَبْقَىٰ عَلَيْهِ إِثْمُ مَا احْتَقَبَ(١).

وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ -كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ الْإِمَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الثَّانِي ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ- كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْحَيَاةِ نَظَرًا مُعْوَجًّا، وَلَا تَسْتَقِيمُ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ نَظْرَةٌ، يَقُولُ: «وَكَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يَتَشَدَّدُونَ فِي مِثْقَالِ

---

(١) ارتكبَ.

رَأْسِ الْإِبْرَةِ مِنَ الْخَمْرِ لَا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ أَكْلِ الْمَالِ الْحَرَامِ؛ وَكَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يَتَوَرَّعُونَ عَنْ أَكْلِ الْمَالِ الْحَرامِ وَعَنْ مِثْقَالِ أَوْ مِثْلِ مِثْقَالِ رَأْسِ الْإِبْرَةِ مِنَ الْخَمْرِ لَا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الْغِيبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَاللَّغَطِ بِاللِّسَانِ فِي كُلِّ مَجَالٍ».

ثُمَّ ضَرَبَ لِهَؤُلَاءِ مَثَلًا، فَقَالَ: «مَثَلُ هَؤُلَاءِ كَرَجُلٍ فَاسِقٍ فَاجِرٍ تَمَكَّنَ مِنْ فَاجِرَةٍ فَاسِقَةٍ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهَا قَالَ لَهَا: يَا هَذِهِ! غَطِّي وَجْهَكِ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ إِلَىٰ وَجْهِ الْأَجْنَبِيَّةِ حَرَامٌ»، وَهُوَ يَفْجُرُ بِهَا.

فَهَذَا نَظَرٌ مُعْوَجٌّ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ أَبَدًا، وَإِنَّمَا الْخَيْرُ كُلُّهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ.

❀❀❀

إِنْ عُدْتَ إِلَى فِطْرَتِكَ اسْتَقَامَتْ لَكَ الْحَيَاةُ!

عُدْ إِلَىٰ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ فَهِيَ دِينُكَ؛ فَالْإِسْلَامُ الْفِطْرَةُ، وَالْفِطْرَةُ الْإِسْلَامُ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ الْهُمَامُ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُنَصِّرَانِهِ، يُهَوِّدَانِهِ، يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ؛ هَلْ تَرَوْنَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**»(١).

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا عَدَّدَ صُوَرَ الِانْحِرَافِ الطَّارِئِ عَلَىٰ أَصْلِ الْفِطْرَةِ لَمْ يَذْكُرِ الْإِسْلَامَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وُلِدَ عَلَيْهِ، يَقُولُ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**»، أَيْ: عَلَىٰ الْإِسْلَامِ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا عَدَّدَ صُوَرَ الِانْحِرَافِ عَنْهُ قَالَ: «**فَأَبَوَاهُ يُنَصِّرَانِهِ، يُهَوِّدَانِهِ، يُمَجِّسَانِهِ**»، وَلَمْ يَقُلْ: يُدْخِلَانِهِ فِي الْإِسْلَامِ؛ إِذْ هُوَ عَلَيْهِ.

فَالْإِسْلَامُ الْفِطْرَةُ، وَالْفِطْرَةُ الْإِسْلَامُ.

فَعُدْ إِلَىٰ فِطْرَتِكَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ عُدْتَ إِلَىٰ فِطْرَتِكَ اسْتَقَامَتْ لَكَ الْحَيَاةُ، اسْتَقَامَتْ نَظْرَتُكَ، وَاسْتَقَامَ مِنْهَاجُكَ، وَاسْتَقَامَ طَرِيقُكَ، وَارْتَفَعْتَ فَوْقَ الصَّغَائِرِ مِنَ السَّفَاسِفِ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ «**اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٨٥، ٤٧٧٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٥٨)، مِنْ طَرِيقِ: الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ... الْحَدِيثَ.

وَلَنْ يُحِبَّ الْمَرْءُ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَلَنْ يُقِيمَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ يَكُونَ كَبِيرَ الْهِمَّةِ عَظِيمَ الْهِمَّةِ فِي سَبِيلِ السُّلُوكِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَمَّا دَنَاءَتُهَا، وَأَمَّا الِالْتِصَاقُ بِالْأَرْضِ، وَأَمَّا الْبُعْدُ عَنِ الْمَعَالِي -مَعَالِي الْأُمُورِ-؛ فَهُوَ الْإِغْرَاقُ فِي السَّفَاسِفِ الَّتِي يَكْرَهُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

عَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَخْلُو مِنَ الذَّنْبِ أَبَدًا، وَلِأَنَّهُ مَا دَامَ غَيْرَ مَعْصُومٍ فَهُوَ وَاقِعٌ فِي الْخَطِيئَةِ لَا مَحَالَةَ.

وَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَعُودَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي إِصْلَاحِ قَلْبِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَصْلُ، فَإِذَا صَلَحَ الْقَلْبُ صَلَحَ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ، وَصَلَحَ الْجَسَدُ.

وَإِذَا فَسَدَ الْقَلْبُ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَفَسَدَتِ الْحَيَاةُ تَبَعًا.

فَهَذَا أَوْلَىٰ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُعَوَّلَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا صَلَحَ صَلَحَتِ الْحَيَاةُ كُلُّهَا.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَلْتَفِتُ إِلَىٰ ظَاهِرِ الْأَمْرِ، وَلَا يُفَتِّشُ عَنْ حَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يُرِيدُ أَشْبَاحًا مَنْصُوبَةً، وَلَا قَوَالِبَ مَصْبُوبَةً، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَرْوَاحًا إِلَيْهِ عَائِدَةٌ رَاجِعَةٌ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُكُمْ أَنْ تَعُودُوا إِلَيْهِ تَائِبِينَ ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

«وَلَأَنْ تَبِيتَ نَائِمًا وَتُصْبِحَ نَادِمًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبِيتَ قَائِمًا وَتُصْبِحَ مُعْجَبًا».

هَذَا أَمْرٌ يَتَعَلَّقُ بِقَلْبِكَ، لَا يَتَعَلَّقُ بِبَدَنِكَ، فَإِذَا صَلَحَ بَدَنُكَ صَلَحَ حَالُكَ، وَإِذَا صَلَحَ بَدَنُكَ صَلَاحًا حَقِيقِيًّا فَهُوَ دَلَالَةٌ عَلَىٰ صَلَاحِ قَلْبِكَ، وَأَمَّا إِذَا فَسَدَتِ الْحَيَاةُ

فَذَلِكَ لِفَسَادِ الْقُلُوبِ.

وَطُلَّابُ الْعِلْمِ خَاصَّةً يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَوَرَّعُوا عَنِ الْأَدْنَاسِ، وَأَنْ يَبْتَعِدُوا عَنِ الْأَنْجَاسِ، وَمَا كَانَ مُبَاحًا لِغَيْرِهِمْ فَهُوَ فِي مَرْتَبَةِ الْمَحْظُورِ الْمُحَرَّمِ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا تَوَسَّعَ النَّاسُ فِي الْمُبَاحِ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالْبُعْدِ عَنْهُ.

عُلَمَاءُ السُّوءِ قَعَدُوا لِلنَّاسِ عَلَىٰ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَيْهَا بِأَقْوَالِهِمْ، وَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْجَنَّةِ بِأَفْعَالِهِمْ.

فَنَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا تَوْبَةً نَصُوحًا تَرْضَىٰ بِهَا عَنَّا.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ.

وَاجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَجْعَلْ فِينَا وَلَا حَوْلَنَا وَلَا بَيْنَنَا شَقِيًّا وَلَا مَطْرُودًا وَلَا مَحْرُومًا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

سُبْك الْأَحَدِ
فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ:
١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٢٨هـ
الْمُوَافِق: ١٨ مِنْ مَايُو ٢٠٠٧م

وَكَتَبَ:
أَبُو عَبْدِ اللهِ
مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ رَسْلَانَ
- عَفَا اللهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ-

الْفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣
الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ..... ٤
الْعَقِيدَةُ وَالْمُرُوءَةُ سِرُّ الْحَيَاةِ الطَّاهِرَةِ..... ١١
أَحْوَالُ الْمُسْلِمِ فِي الْحَيَاةِ..... ١٧
مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ فَتْحُ بَابِ التَّوْبَةِ..... ٢٥
اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ..... ٣٥
الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ..... ٣٨
شُرُوطُ التَّوْبَةِ..... ٣٨
إِنْ عُدْتَ إِلَىٰ فِطْرَتِكَ اسْتَقَامَتْ لَكَ الْحَيَاةُ!..... ٤٥